# دراسة تاريخيه

## عن

## نشأة وتطور العلاقات المصرية الخيتية من المصادر المصرية

دكتورة

**نبيلة محمد عبد الحليم**

كلية التربية – جامعة الاسكندرية

---

يعتمد الباحث فى التاريخ القديم على المصادر النصية والأثرية ، فيحاول البحث عن أقدم النصوص والآثار الدالة على موضوع بحثه . ومن الموضوعات التى تستوجب الدراسة التاريخية المستفيضة العلاقات السياسية والحضارية بين مصر القديمة من ناحية ، وبقية دول الشرق الأدنى القديم من ناحية أخرى ، لأن هذا الموضوع يوضح مدى الدور السياسى والحضارى الهام الذى قامت به مصر الفرعونية فى مجال المحيط الدولى آنذاك . ومن ناحية أخرى ، يمكن للدراسة المقارنة توضيح هذا الدور التاريخى . وقد اتجه الباحث إلى فحص التركة النصية والأثرية المصرية القديمة فى موضوع العلاقات المصرية الخيتية ، ووجد أن أقدم ذكر للخيتيين قد جاء فى نصوص الملك تحوتمس الثالث (١) . كما نص أيضاً قاموس اللغة المصرية القديمة (٢)

---

(١) Sethe, K., Urkunden der 18. Dynastie, historisch-biographische Urkunden,4 Vols., Leipzig, 1906—1909, 701, 11; 727, 13. and Gardiner, A. Ancient Egyptian Onomastica, Volume 1, Oxford University Press, 1947, p. 127.

(٢) Worterbuch der Aegyptischen Sprache, Vol. 111, p. 349.

على أن أقدم ذكر لبلاد خاتى يرجع إلى الأسرة الثامنة عشرة ، وتكتب هكذا

ht ( Khatti ) ومعناها أرض خاتى

. The land of the Hittite

وتكتب أيضاً

وقد ورد ذكر الحيتيين فى كتاب العهد القديم (١) (سفر التكوين. الإصحاح الثالث والعشرون السطر الثالث) عندما يحدث سيدنا ابراهيم عليه السلام «بنى حث» قائلا لهم «... أنا غريب ونزيل عندكم ...» ، وكذلك (سفر الخروج الاصحاح الثالث السطر الثالث والعشرون) عندما يظهرون كإحدى الشعوب مع الكنعانيين والأموريين وغيرهم .

والواقع أن العناصر الحيتية قد هاجرت إلى منطقة آسيا الصغرى منذ بداية الألف الثانى قبل الميلاد، وتمكنت هذه العناصر الهندية الأوربية الأصل من تكوين الدولة الحيتية القديمة ، ثم الدولة الحيتية الحديثة التى اتخذت عاصمتها «خاتوشاش» عند البلدة الحالية المسماة «بوغاز كوى» ، حوالى تسعين ميلا شرقى مدينة أنقرة . وقد عثر فى هذا الموقع السالف الذكر على آلاف من اللوحات الطينية الحيتية المدونة بالخط المسمارى . ولم يقتصر الحيتيون على كتابة تراثهم بالخط المسمارى ، بل أيضاً سجلوا بعضها بالخط الهيروغليفى الحيتى . وأصبحت الدولة الحيتية الحديثة عنصراً من العناصر القوية المنافسة للقوة الأشورية فى بلاد الرافدين ، والقوة المصرية فى وادى النيل الأدنى . وكان من الطبيعى أن يحدث نوع من المنافسة بين القوى الثلاثة على فرض السيادة السياسية والحضارية فى المنطقة .

---

(١) الكتاب المقدس ، أى كتب العهد القديم والعهد الجديد ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ص ٣٤ ، ٩١.

ويمكن للباحث تقسيم هذا الموضوع إلى ثلاث جوانب رئيسية ، أولها مرحلة العلاقات السياسية السلمية ، ثم مرحلة العلاقات الحربية ، وأخيراً مرحلة المعاهدة السلمية بين الطرفين .

أما بالنسبة للعلاقات السياسية السلمية ، فقد بدأت كما سبقت الإشارة فى عهد تحوتمس الثالث حيث تتحدث النصوص عن ارسال هدايا من أمير خاتى إلى ملك مصر . وقد عبرت النصوص المصرية القديمة عن تعبير الهدايا بكلمة inw ، التى إما تعنى هدايا أو تعنى جزية . حتى أن جاردنر (١) قد تردد فى تقبل تعبير هدايا ، وهل المقصود بالهدايا مجرد تعبير عن علاقات الود والسلام بين الأمراء الخيتيين والفرعون المصرى ، أم أن هذه الهدايا كانت بمثابة جزية مفروضة على الأمراء الخيتيين تأكيداً لسيادة الفرعون المصرى فى تلك الأقاليم . ويبدو أن الرأى الثانى هو أقرب إلى الواقع التاريخى ، والدليل على ذلك ما جاء فى نص الملك أمنحوتب الثانى فى لوحته الشهيرة فى منف « ... والآن حين سمع أمير نهرين وأمير خاتى وأمير سنجار بالنصر العظيم الذى تم لى ، تنافس كل منهم مع صاحبه بكل وسائل الإهداء ... ليرجولهم السلام من جلالته مقابل منحهم نسمة الحياة(٢) ...» . ويشير هذا النص إلى ثلاثة من أكبر القوى السياسية التى كانت متواجدة على المسرح السياسى آنذاك . وعلى الرغم من قيامهم بتهنئة الفرعون بانتصاره ؛ الا أنهم فى الواقع كانوا يتجينون الفرصة لضرب النفوذ المصرى هناك بل ويسعون لإخراج المصريين من الأقاليم الأسيوية للامبراطورية المصرية .

---

(١) Gardiner, A., Onomastica, 1, p. 127.

(٢) Wilson, J., The Asiatic Campaigning of Amen-hotep 11, „The Memphis and Karnak Stelae", (in) Pritchard, J.B. Ancient Near Eastern Texts, Relating to the Old Testament, Princeton, 1969, p. 247.

وفى الإمكان ملاحظة مثل هذا الاتجاه فى محاولات مملكة خاتى للتوسع والسيطرة على حساب الدول المجاورة لها . ففى عهد ملكهم خاتوسيلاس الأول Hattusilis I استطاع الخيتيون مد نفوذهم إلى شمال سوريا ، ثم تمكنوا من الاستيلاء على حلب وهزيمة بابل لفترة قصيرة فى عهد مورسيليس الأول (١) Mursilis I وفى عهد شوبلوليوما Shubbiluliuma بدأت مملكة خاتى تصطدم بمملكة ميتانى التى كانت تربطها مع مصر آنذاك صلات الود والمصاهرة (*)، مما دفع ملك ميتانى إلى الاستعانة بمصر التى قررت الوقوف بجانب ميتانى . وربما هدفت مصر من وراء تصرفها هذا إلى الحد من توسع خاتى ، وإلى الوقوف فى وجه القوة الجديدة الناشئة التى لم تكتف بعدائها لميتانى ، بل حاولت مد سيطرتها إلى بلاد وادى نهر العاصى ومدن فينيقيا ، وجنوبى لبنان التى كانت موالية لمصر . ويبدو أن مصر حتى بداية حكم امنحوتب الثالث كانت لا تعمل حساباً جدياً لأى خطر حقيقى من ناحية بلاد خاتى . ورغم العلاقات المصرية الخيتية التى تبدو أنها تسير فى إطار السلام ، الا أن المنافسة التقليدية بين القوتين الخيتية والمصرية كانت كامنة ومتحينة للفرص من أجل دفعها إلى حافة الحرب ، والتوسع على حساب القوة الأخرى .

وقد بدأت مرحلة العلاقات الحربية عندما زحف شوبلوليوما على سوريا الشمالية . فى ذلك الحين بدأت العلاقات المصرية الخيتية تأخذ صورة النزاع

---

(١) أحمد فخرى ، دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ٨٨ .

(*) ورد فى الرسالة رقم ٢٩ من رسائل تل العمارنة ذكر زواج تحوتمس الرابع من ابنة ملك ميتانى (أرتاتاما) وأنه كرر طلب الزواج سبع مرات Gardiner, A., Onomastica, 1; p.176. وهذه الأميرة الميتانية سميت فيما بعد بالاسم المصرى «موت أم ويا» وأصبحت أم أمنحوتب الثالث.

كما ورد ذكر أمنحوتب الثالث فى الرسالة رقم ١٧ حيث يشير توشراتا Tushratta ملك ميتانى إلى زواج أخته جلوخيبا Giluhepa من أمنحوتب الثالث . وتضيف الرسالة رقم ٢٩ أن جلوخيبا كانت ابنة شوتارنا Shuttarna ملك ميتانى. Gardiner, A., Onomastica, 1, p.174.

المسلح . وفى بداية الأمر ، اتبع ملوك خاتى سياسة تشجيع أمراء المدن السورية على الثورة بغرض إضعاف النفوذ المصرى. ولقد نجحوا فى ذلك ، وتم لهم تأليب بعض هؤلاء الحكام منذ أواخر عهد أمنحوتب الثالث . وعلى الرغم من روح العداء التى كانت تكنها خاتى باستمرار نحو مصر ، إلا أن ملوكها كانوا يسارعون إلى التحالف مع الفرعون ، بل ومحاولة شراء وده كلما وجدوا فى ذلك مصلحة لهم . فعندما اصطدم شوبلوليوما مع ملك ميتانى توشراتا سارع بالكتابة إلى أمنحوتب الرابع يهنئه بولايته على العرش ، ويطلب تجديد العلاقات الودية التى كانت بينه وبين أمنحوتب الثالث ، إلا أن مصر ردت على ذلك باحتجاز سفراء (١) شوبلوليوما . ولعل هذا التصرف من جانب مصر كان يشير إلى إحساس المصريين بخطر مملكة خاتى ومنافستها للنفوذ المصرى فى الأقاليم والمدن السورية . وعلى الرغم من ذلك الخطر الداهم الذى بدأ يهدد الامبراطورية المصرية نفسها ، الا أن أمنحوتب الرابع قد انصرف إلى ديانته الجديدة ولم يبد اهتماماً جدياً بشئون تلك الأقاليم . وبالإضافة إلى ذلك ، فإن استمرار الأطماع الخيتية ونجاحها فى تقويض دعائم الحكم المصرى فى سوريا بالتحالف مع بعض الحكام مثل أمير قادش ، وعبدى شرتا Abdu-Ashirta ملك أمور Amurru ، وابنه عزيرو Aziru ساعد على انهيار الامبراطورية المصرية وضياع الجزء الأكبر من ممتلكاتها فى كل من سوريا وفينيقيا وفلسطين . وتتضمن بعض رسائل تل العمارنة الكثير من المؤشرات الدالة عن ذلك التطور . ويظهر ذلك بوضوح فى شكاوى بعض الحكام المصريين فى آسيا وبعض الأمراء الأسيويين الموالين للسياسة المصرية .

ويمكن الاستدلال على ما وصل إليه ضعف النفوذ المصرى ، من رسائل

---

(١) نجيب ميخائيل ابراهيم ، مصر والشرق الأدنى القديم ، مصر من قيام الدولة الحديثة إلى دخول الاسكندر ، الجزء الثانى ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ١٣٨ .

أمير أورشليم عبدو خبا Abdu-Heba فى الرسالة رقم EA ٢٨٦ نقرأ « . إلى كاتب الملك ، سيدى : من خادمك عبدو خبا ... افصح فى قولك لسيدى الملك—ان جميع أراضى سيدى الملك قدفقدت(١)..» . وفى الرسالة رقم EA ٢٨٨ نقرأ «.. ان أراضى الملك قد فقدت .. لقد أخذت منى ، وهناك حرب ضدى من بلاد سير seir (وحتى) جاث كرمل Gath Carmel(٢)...» ونحن نعلم أن شكوى هؤلاء الحكام لم يستمع لها بل لم يهتم أحد بمقابلة الرسل الذين جاءوا من تلك الأقاليم ليشرحوا للفرعون حقيقة مجريات الأمور . وعلى الرغم من ذلك ، فقد استمر هؤلاء الحكام يستنجدون بالفرعون مراراً وتكراراً إلى الدرجة التى سمحت لحاكم جبيل ربعدى أن يكتب أكثر من خمسين رسالة للفرعون . وتقول إحدى هذه الرسائل التى وجهها إلى أمنحوتب الرابع «.. مدينة جبيل ، التى ظلت منذ القدم جارية أمينة لملك مصر وأسلافه ، قد خرجت الآن من يده بسبب إهمال الملك لتأمينها(٣)...» وفى رسالة أخرى (٤) من ربعدى لأمنحوتب الرابع يشير إلى سقوط مدينة بيروت فى أيدى العصاة تحت زعامة عبدى شرتا .

وفى سنوات حكم توت عنخ أمون ، كانت المحميات الأسيوية التابعة لمصر ، قد بلغت درجة كبيرة من الضعف (٥) . وربما أدت تلك العوامل

---

(١) Albright, W.F., Akkadian Letters, "The Amarna Letters" (in) ANET, p. 487.

(٢) Albright, W.F., ANET, p. 488.

(٣) The Tell El-Amarna Tablets (in)The British Museum with Autotype Facsimiles, Printed by Order of the Trustees, London, 1892, p. XIV.

(٤) Ibid., p. L.

(٥) Noblecourt, C.D., Tutankhamen, "Tutankhaten and the two Capitals, Penguin Books, Milan 1965, p. 118.

مجتمعة إلى إحساس المصريين بشدة بأس الحينين فى تلك المرحلة مما جعل إحدى الملكات(*) المصريات تلجأ إلى ملك خاتى تطلب زوجاً لها من أولاده. فى قصة شوبلوليوما والملكة المصرية نقرأ «... مات زوجى وليس لى ابن ، يقول الناس إن لك أولاد كثيرين . فإذا بعثت لى بأحد أبنائك ، فى الإمكان أن يصبح زوجاً لى ... » . ونقرأ فى نهاية النص «... ولأن أبى كان كريماً ، فقد استجاب لرغبات السيدة وقرر (ارسال) الابن (١) . وفى نص آخر «... ولكن عندما أرسل والدى واحداً من أبنائه قتلوه .. وقد دفع الغضب والدى للقيام بالحرب ضد مصر فهاجمها (٢) ..» . وربما يتمشى مع إحساس المصريين بشدة بأس خاتى عدم قيام حرمحب بنشاط عسكرى واضح فى آسيا . ويبدو أنه آثر السلام مع ملك خاتى مورسيليس الثالث فعقد معه هدنه (٣) أو معاهدة (٤) .

وعلى ذلك فى الإمكان القول بأن رسائل تل العمارنة مع غيرها من الأدلة السالفة الذكر تدل دلالة واضحة على أن النفوذ المصرى كان قد أصيب بضربات قاصمة سواء فى الإقليم السورى أو فى مدن الساحل الفينيقى أو أعالى الفرات أو فلسطين . وكان من الطبيعى فى مثل هذه الظروف

---

(*) هى داخامون وقد اتجه البعض أنها نفرتيتى بينما رأى البعض الآخر أنها أرملة توت عنخ أمون عنخ اس ان با أتون

أحمد فخرى ، مصر الفرعونية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٣٣٣ .

(١) Goetze, A., Hittite Historical Texts „Suppiluliumas and the Egyptian Queen'', (in) ANET, p. 319.

(٢) Goetze, A., Hittite Prayers, „Plague Prayers of Mursilis'',— (in) ANET, p. 395.

(٣) عبد العزيز صالح ، الشرق الأدنى القديم ، مصر والعراق، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٢٢١ .

(٤) Wilson, J.; The Culture of Ancient Egypt, U.S.A., 1975, p. 239.

أن يقع على عاتق ملوك أقوياء من أمثال سيتى الأول ورمسيس الثانى العبء الأكبر فى الإبقاء على ما تبقى من هيبة مصر فى تلك المناطق ، ومحاولة إعادة الامبراطورية المصرية إلى سابق مجدها .

فعندما ولى سيتى الأول الحكم ، وجد أمامه العديد من المشاكل وعلى رأسها اختلال ميزان القوى فى الجناح الأسيوى من الامبراطورية المصرية نتيجة لاستمرار الخيتيين فى تأليب أمراء الشام على النفوذ المصرى ولزيادة قوة خاتى على يد ملكهم مورسيليس الثانى Mursilis II ابن شوبلوليوما. وفى محاولة سيتى الأول لإعادة الاستقرار إلى تلك المناطق ، اتجه على رأس حملة إلى آسيا وصل فيها إلى جنوب الأورونت حيث الحد الفاصل بين حدود مصر الشمالية وحدود خاتى الجنوبية. ويبدو أن هدف سيتى كان فى الأصل هو إخضاع قادش ، وأنه نجح فى تحقيق هذا الهدف . وتكشف لنا لوحة (١) عثر عليها فى قادش عن استيلائه على تلك المدينة ، كما تعزز النصوص الموجودة على جدران معبد الكرنك نجاح سيتى فى رد الخيتيين إلى حدود بلادهم (٢) . أما وثائق بوغاز كوى فتشكك فى حقيقة هذا الانتصار المصرى . والأرجح أن نتيجة هذه المعركة لم تكن حاسمة بدليل أن نصوص كل من الطرفين قد ادعت النصر . ويلاحظ عدم استئناف سيتى لحملاته على سوريا بالإضافة إلى عقده معاهدة (٣) حسن جوار مع مواتاللس Muwatallis ملك خاتى آنذاك .

---

(١) Wilson, J., Egyptian Historical Texts, „Campaigns of Seti I in Asia'' (in) ANET, p. 254.

(٢) سليم حسن ، مصر القديمة ، عصر رعمسيس الثانى وقيام الامبراطورية الثانية ، الجزء السادس ، القاهرة ١٩٤٩ ، ص ٥٤ .

(٣) سليم حسن ، نفس المرجع ، ص ٥٦ .

ومن عهد رمسيس الثانى ، توجد ثلاث لوحات للنصر كان قد أقامها عند مصب نهر الكلب . وتحمل إحداها تاريخ العام الرابع من حكمه إشارة إلى حملته الآسيوية التى وصل فيها إلى هذه المنطقة . وفى العام الخامس لحكم رمسيس الثانى ، تحدث معركة قادش الشهيره بينه وبين مواتاللس . وقد اختلفت المصادر المصرية والخيتية فى تقييم نتيجة هذه المعركة . فبينما نقرأ قصة انتصار الفرعون المصرى فى هذه المعركة فى نص (ملحمة قادش * ) المنقوش على جدران عدة معابد فى الأقصر والرمسيوم والكرنك وأبيدوس، وفى نص مختصر يعرف «بالتقرير الرسمى» عثر عليه فى المعابد السالفة الذكر ما عدا الكرنك ، نرى من ناحية أخرى أن المصادر الخيتية تشير إلى هزيمة المصريين وملاحقة جيوش خاتى لهم حتى دمشق . فى نص (١) عثر عليه فى بوغازكوى ويرجع إلى عهد الملك الخيتى خاتوسيلاس ويصف فيه بعض الأحداث التى وقعت فى عهد الملك مواتاللس نقرأ «.. فى الوقت الذى كان مواتاللس يهاجم ملك مصر وبلاد أمور . وعندما هزم ملك مصر وأمور قفل راجعاً إلى بلاد آبا (**) Apa وعندما هزم أخى مواتاللس آبا عاد إلى بلاد خاتى ..» .

وفى الإمكان تصديق المصادر الخيتية نظراً للثورة التى حدثت فى فلسطين بإيعاز من الخيتيين بعد هذه المعركة . ولقد دعا ذلك رمسيس الثانى

---

(*) تعارف علماء المصريات فى بداية الأمر على الاشارة إلى هذا النص بأنه قصيدة لبنتاءور الا أنه تبين فيما بعد بعدم صحة هذا الافتراض نظرا لافتقاد النص لروح الشعر من ناحية ، ولأنه عرف مؤخراً بأن بنتاءور هذا لم يكن سوى المسئول عن حفظ نسخة من هذا النص .

ألن جاردنر ، مصر الفراعنة ، ترجمة نجيب ميخائيل ابراهيم ، ومراجعة عبد المنعم أبوبكر ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٢٨٨ .

(١) Goetze, A., Hittite Historical Texts, „Hattusilis on Muwatalli's War Against Egypt", (in) ANET, p. 19.

(**) قرب دمشق .

فى حملة العام الثامن إلى تأديب عسقلون وبعض المدن الأمورية فى محاولة لاستعادة ما فقدته مصر من نفوذها . وتشير إلى ذلك نقوش (١) معبدالكرنك. ثم تطورت الأمور مرة أخرى بوفاة مواتاللس ملك خاتى وتنازع ولى عهده مع عمه خاتوسيلاس وفوز الأخير بعرش خاتى . ولقد عاصر هذه التطورات السياسية فى مملكة خاتى ظهور قوة دولة أشور على المسرح السياسى حيث بدأت هى الأخرى تتطلع إلى نصيبها فى السيادة . هذا بالإضافة إلى ظهور هجرات وتحركات شعوب البحر التى هددت المنطقة بأسرها .

لقد أدت العوامل السابقة مجتمعة إلى المرحلة الأخيرة من مراحل العلاقات المصرية الخيتية وأعنى بها مرحلة المعاهدة السلمية بين الطرفين. فقد سلك خاتوسيلاس سياسة سلمية مع مصر حيث عقدت بين الطرفين معاهدة (٢) دفاعية هجومية حوالى عام ١٢٨٠ ق . م . وقد اكتسبت تلك المعاهدة أهمية خاصة نظراً لأنها تعد فى نظر الكثيرين أقدم معاهدة متكاملة فى تاريخ العلاقات الدولية .

وفى الإمكان إلقاء الضوء التاريخى على بعض جوانب تلك المعاهدة مع التعرض بالتحليل لبعض نصوصها بهدف إبراز أهم سماتها التى أهلتها لاكتساب هذه الأهمية . ففيما يتعلق بأسلوب صياغة المعاهدة المصرية الخيتية، يمكن الإشارة إلى المنهجية التى اتبعت فى كتابة تلك المعاهدة ، والتى تبدو واضحة ومنسقة . فهى تبدأ بمقدمة إيضاحية صيغت باللغة المصرية القديمة، ثم تلى ذلك ديباجة المعاهدة الحقيقية . ولم يفت الجانبان أن يتذكرا العلاقات

---

(١) Wilson, J., Egyptian Historical Texts, „The Asiatic Campaigning of Ramses II', (in) ANET P. 256.

(٢) Wilson, J., Egyptian and Hittite Treaties, „Treaty Between the Hittites and Egypt", (in) ANET, pp. 199—201 and Goetze, A., Hittite Treaties, „Treaty Between Hattusilis and Ramses II"; (in) ANET, pp. 201—203.

الودية القديمة التى كانت بين بلديهما سد أقدم العصور إلى أن حدثت الحروب بين الجانبين . وأعقب ذلك الإعلان الرسمى لمعاهدة السلم الجديدة والتى أصبحت ملزمة للطرفين حتى عند موت أحد المتحالفين (١) . ان هذا التسلسل المنطقى يدل بوضوح على دراية بأنماط صياغة المعاهدات وعلى اتباع قواعد البروتوكول المتعارف عليها فى عصرنا الحاضر .

وبالإضافة إلى ما سبقت الإشارة إليه ، يلاحظ أن اللغة التى صيغ بها أصل النص الخيتى (*) للمعاهدة كانت هى اللغة البابلية وليست اللغة التى يتكلم بها أهل خاتى . ويرجع ذلك إلى اعتبار اللغة البابلية فى تلك الأيام لغة الرسائل والمواثيق الدولية السياسية وإبرام المعاهدات مع الممالك المجاورة (٢). ويتضح من استعمال اللغة البابلية كلغة دبلوماسية مثلها فى ذلك مثل اللغة الفرنسية فى عصرنا الحاضر ، على تعرفهم على الأصول الأولى فى صياغة المعاهدات بلغة مشتركة متفق عليها ويتفهمها كل من الجانبين .

أما بالنسبة لتحليل مضمون المعاهدة ، فى الإمكان ملاحظة أن المعاهدة تشير إلى تبادل السفراء ووثائق التصديق عليها بين الدولتين كما هو متبع فى المعاهدات التى تعقد فى عالمنا المعاصر . ويفترض كل من لا نجدون وجاردنر (٣) بأن سفراء مصر فى بوغازكوى قد اشتركوا فى صياغة بنود تلك المعاهدة فى مراحلها الأولى . وعندما تم الاتفاق على الصيغة النهائية ،

---

(١) ألن جاردنر ، المرجع السابق ، ص٢٩٣ .

(*) عثر عليه هوجو فنكلر Hugo Winckler فى بوغازكوى عاصمة خاتى على لوحين من الطين كتبتا بلهجة كنعان البابلية .

(٢) Langdon, M.A., and Gardiner, A.H., Litt, D., „The Treaty of Alliance Between Hattusili, King of the Hittites and the Pharaoh Ramesses II of Egypt", (in) The Journal of Egyptian Archaeology, Volume VI, London, 1920, p. 180.

(٣) Langdon, M.A., and Gardinr, A.H., Ibid., p. 200.

نقشت على لوح من الفضة وأرسلت مع وفد من خاتى إلى بى – رعمسيس حيث كان يقيم رمسيس الثانى . وقد ترجم نص المعاهدة المكتوب بالبابلية الإسفينية إلى اللغة المصرية ونقش على جدران الصالة الكبرى بمعبدى الكرنك والرمسيوم ، بينما قام الكتاب البابليون بصياغة صورة أخرى من تلك المعاهدة نقشت على لوح فضى ، وختمت بخاتم الفرعون وسلمت للسفراء الخيتيين (١) حيث أرسلت إلى بلاد خاتى ووضعت فى رعاية الإله تشوب (٢) .

وفى الإمكان الاستدلال على تواجد السفراء من المقدمة الإيضاحية للمعاهدة «.. فى هذا اليوم ، عندما كان جلالته فى بلدة بى – رعمسيس .. مرى – أمون ،... أتى رسول الملك ونائب القائد ... ورسول الملك... (أوسر ماعة – رع) ستب ان – (رع) .. (تار) تشوب ، ورسول خاتى .. حاملا (اللوحة الفضية التى) أرسلها خاتوسيلاس أمير خاتى العظيم إلى الفرعون ... ليرجو الصلح (٣) ...» . وعلى الرغم من تهشم الفقرة التى ذكرفيها أسماء سفراء ملك خاتى ، فإن مفهومها واضح فى قيام خاتوسيلاس بإرسال اللوح الفضى إلى الفرعون على يد سفيرين له هما تارتشوب Tar-Teshub ورع موسى Ra-mose (٤) .

وفيما يتعلق بضمان القوة الملزمة لتنفيذ المعاهدة ، فيلزم القول بأن العرف

---

(١) نجيب ميخائيل ابراهيم ، الشرق الأدنى القديم ، وادى الرافدين – بلاد الحيثيين – فارس ، الجزء الخامس ، الاسكندرية ١٩٦٣ ، ص ص ٤٨٦ – ٤٨٧ .

(٢) أحمد بدوى ، فى موكب الشمس ، فى تاريخ مصر الفرعونية من آخر الضحى إلى أول الأصيل ، الجزء الثانى ، القاهرة ١٩٥٠ ، ص ٨٨١ .

(٣) Wilson, J., ANET, p. 199.

(٤) أدولف إرمان وهرمان رانكة ، مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة ، ترجمة وراجعه عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال ، القاهرة ، ص ٦١٦ .

قد جرى أن يشهد على توقيع المعاهدات عادة بعض الشهود ويتضح من دراسة بنود تلك المعاهدة تواجد مثل هذا الاتجاه مع فارق واحد ، هو أن الشهود الذين شهدوا على توقيع هذه المعاهدة لم يكونوا من البشر ، بل كانوا ينتمون إلى عالم الآلهة . وتشير الفقرة الخامسة عشرة من المعاهدة إلى ذلك «... أما عن هذه الكلمات ،(المعاهدة) فإن ألفاً من الآلهة الذكور من الآلهة ومن الآلهة الإناث من آلهة أرض خاتى ، ومعهم ألفاً من الآلهة الذكور من الآلهة ومن الآلهة الإناث من آلهة أرض مصر ،شاهدين معى على هذه الكلمات(١)...» ثم أعقب ذلك قائمة بأسماء آلهة معينة .وعلى ذلك فإن ذكر تلك المجموعة الكبيرة من أسماء الآلهة ، يشير إلى تصميم الطرفين على عدم نقض هذه المعاهدة حيث أنها بشهادة الآلهة تكون فى واقع الأمر مؤمنة بالموافقة الإلهية .(٢) وبالإضافة إلى ذلك ، فإن نقش اللوح الفضى نفسه كان يوحى بما يعزز هذا الاتجاه الدينى من حيث موافقة الآلهة على تلك المعاهدة . فقد كان اللوح الفضى مزيناً برسم إله الرعد تشوب وهو يعانق الملك خاتوسيلاس ، بينما تعانق إلهة الشمس الملكة الحيتية «يودوخيبا(٣) Putu-khepa .

ومما تجدر الإشارة إليه ، أن هذا العامل الدينى كان قوى التأثير فى حياة إنسان ذلك العصر ، وحافزاً لتذكيره بواجبه فى الوفاء بالالتزامات التى تعهد بها ، لأن عدم الوفاء بها يعتبر إخلالا بصيغة السلام التى اتفق عليها ويستحق فى هذه الحالة لعنات تلك الآلهة .

ولعل أهم ما تشير إليه المعاهدة بالإضافة إلى ما سبق ، أنها أرست نظاماً للأمن المتبادل قوامه من ناحية ضمان عدم اعتداء أى طرف على الطرف

---

(١) Wilson, J. ANET, pp. 200—201.

(٢) Wilson, J., The Culture of Ancient Egypt, U.S.A., 1975, p. 249.

(٣) نجيب ميخائيل ابراهيم ، مصر من قيام الدولة الحديثة إلى دخول الاسكندر ، الجزء الثانى ، الاسكندرية ١٩٦٢ ، ص ٢٧١ .

الآخر ، ومن ناحية أخرى كفالة ضمان المساعدات العسكرية بينهما فأما عن الاتفاق على عدم الاعتداء على أملاك الدولتين المتعاقدتين ، فقد جاء فى النص الخيتى البابلى للمعاهدة «.. إن رياماشاشامای أمانا-mashesha-R mai - Amana الملك العظيم ، ملك أرض مصر ، لن يعتدى على أرض خاتى لأخذ أى شىء منها فى المستقبل . وأن خاتوسيلاس ، الملك العظيم ، ملك أرض خاتى ، لن يعتـدى على أرض مصر ليأخذ أى شىء منهـا فى المستقبل (١) ... » .

وقد عبر النص المصرى للمعاهدة عن نفس الشىء فيما يختص بالتنحى المشترك عن كل مشروعات التوسع مستقبلا . ويشير ولسون (٢) إلى أن تلك الفقرة لا تتحدث عن أرض مصر أو أرض خاتى بالذات ، بل تشير إلى أملاك هاتين الدولتين فى فلسطين وسوريا ، ويفترض وجود منطقة فاصلة بين أملاكهما احترمها كل من الطرفين ، ولو أنه لم يرد أى نص على الحدود القائمة آنذاك .

أما بالنسبة لتبادل المساعدات العسكرية بين الطرفين المتعاقدين فى حالة تعرض أحدهما إلى اعتداء خارجى على أراضيه ، فقد جرت العادة على أن تشتمل مثل هذه المعاهدات على بعض البنود التى تلزم تبادل المساعدات العسكرية ضد كل الأعداء الأجانب . ويتضح هذا الاتجاه فى الفقرتين السادسة والثامنة من المعاهدة وفيها إشارة إلى الحلف الدفاعى بين الجانبين المصرى والخيتى ليساعد أحدهما الآخر ضد الأعداء . فى النص المصرى تشير الفقرة السادسة وهى تتحدث عن تلك المعاهدة الدفاعية «... فإذا أغار عدو آخر على أراضى أوسرماعة رع ، حاكم مصر العظيم ، وأرسل إلى أمير خاتى العظيم قائلا : «تعال معى كعون ضده» ، فإن على أمير خاتى

---

(١) Goetze, A., ANET, p. 202.

(٢) Wilson, J., Op. Cit. pp. 248—249.

العظيم (أن يأتى إليه) وينبغى على أمير خاتى العظيم أن يقتل عدوه ولكن ، إذا لم يرغب أمير خاتى العظيم فى المجىء (بنفسه) ، فعليه أن يرسل مشاته ، وعرباته ليقتلوا عدوه (١) . . . » .

أما النص الحيتى البابلى ، فيشير فى الفقرة السادسة إلى نفس الاتجاه « ... وإذا أتى عدو من الخارج ضد أرض خاتى وأرسل إلى خاتوسيلاس ملك أرض خاتى العظيم ، قائلا : « تعال إلى لمساعدتى ضده» ، فعلى رياماشاشامای — أمانا . الملك العظيم ملك أرض مصر أن يرسل جنوده المشاة وعرباته وسوف يقتلون (عدوه) وينتقمون له من أجل أرض خاتى (٢) ...» .

وبذلك تكون المعاهدة المصرية الحيتية قد استكملت هذا الجانب من جوانب الاتفاقيات التعاقدية حيث ظهر التحديد الواضح والدقيق لالتزامات الجانبين المصرى والحيتى فى حالة تعرض أحدهما لعدوان خارجى .

ولعل من أهم ما اتجهت إليه المعاهدة المصرية الحيتية هو محاولة تنظيم حق اللجوء السياسى . فقد اشتملت المعاهدة على بعض الفقرات التى تشير إلى عدم قبول الفارين ، وتسليم هؤلاء الفارين من المذنبين سواء من العظماء أو من صغار المذنبين . وما من شك فى أن ذلك لابد وأن يكون حصيلة تجارب طويلة فى العلاقات الدولية . فنحن نقرأ فى النص المصرى «... [إذا فر رجل عظيم من أرض مصر وجاء إلى] أراضى أمير خاتى العظيم ، أو إلى أرض تابعه لأراضى رمسيس مرى — أمون ، حاكم مصر العظيم ، وأتوا إلى أمير حاتى العظيم ، فعلى أمير خاتى العظيم الا يستقبلهم . وعلى أمير خاتى أن يعمل على إحضارهم إلى أوسرماعة — رع — ستب ان — رع ، حاكم مصر العظيم (٣) ...» .

---

(١) Wilson, J.A., Treaty Between the Hittites and Egypt, (in) ANET, p. 200.

(٢) Goetze, A., ANET, p. 202.

(٣) Wilson, J., ANET, p. 200.

وأما عن المادة التى تخص صغار المذنبين ، فتشير إلى «...إذا فر رجل أو رجلان غير معروفين وأتوا إلى أرض مصر ليكونوا خدماً لأناس آخرين، فعلى أوسر ماعة – رع – ستب – ان – رع ، حاكم مصر العظيم ألا يبقيهم وعليه أن يرسلهم إلى أمير خاتى العظيم (١) ...» .

وتوجد مواد تبادلية مع الفقرات السابقة تعطى للجانب الحيتى نفس الحق فى إعادة الفارين إلى خاتى . وتشتمل مواد المعاهدة كذلك على تحديد مصير هؤلاء اللاجئين السياسيين . ويستدل على ذلك بالفقرتين السابعة عشرة والثامنة عشرة وهما اللتان تتناولان موضوع العفو عن المجرمين السياسيين. ويعتقد بعض المؤرخين (٢) أن تلك الفقرتين قد أضيفتا بعد صياغة المعاهدة فى صورتها النهائية ، بمعنى أنهما جاءتا بمثابة ملحق ينظم معاملة اللاجئين السياسيين . ومن المعتاد أن تضاف بعض الملاحق للمعاهدات لتنظيم بعض الأمور التى لا يرد نص بشأنها فى مواد المعاهدة .

وتشير الفقرة السابعة عشرة «...إذا فر رجل أو اثنين أو ثلاثة رجال من أراضى مصر وجاءوا إلى أمير خاتى العظيم ، فإن أمير خاتى العظيم ينبغى عليه أن يقبض عليهم ، ويأمر بإعادتهم إلى أوسر ما عة – رع – ستب – ان رع ، حاكم مصر العظيم . أما الرجل الذى سيحضر إلى رمسيس مرى – أمون ، حاكم مصر العظيم ، فيجب ألا توجه إليه جريمة ، ولن يضار فى بيته أو زوجاته أو يقضى على أطفاله ، ويجب ألا يقتل ، وألا يضار فى عينيه ، أذنيه ، فمه ، أو ساقيه ، ويجب ألا توجه (أية جريمة) ضده (٣) ...» .

والفقرة الثامنة عشرة تعالج نفس الموضوع وتلزم الجانب الحيتى بمعاملة اللاجئين السياسيين معاملة المثل من حيث أن تكون معاملتهم طيبة عند

---

(١) Wilson, J., ANET, p. 200.

(٢) سليم حسن ، المرجع السابق ، ص ٢٩٩ .

(٣) Wilson, J. ANET, p. 201.

رجوعهم إلى أوطانهم ، كما حتمت اسقاط الذنوب عنهم التى من أجلها هاجروا وفروا من بلادهم .

وبهذا تكون بنود المعاهدة القانونية قد تحققت من المعاملة الإنسانية للاجئين السياسيين من الطرفين ، وبذلك يطمئن الطرفان إلى صيانة الفرد وممتلكاته. ولعل هذا يتمشى مع إعلان حقوق الإنسان الذى تحرص الدول المتقدمة فى العالم الحديث على التمسك بتطبيقه على المستوى الدولى .

ويتضح من دراسة وتحليل النصوص المصرية والحيثية للمعاهدة أن صياغتها وما تضمنته من بنود قانونية جاء نتيجة دراية بالطرق والأساليب المستخدمة فى توثيق العلاقات الدولية ، كما تؤكد تلك الدراسة دقة عمل اللغويين الذين قاموا بصياغة النصين والتى تعبر عن أسلوب متميز فى المعاهدات والمواثيق فى تلك المرحلة المبكرة . ويلاحظ كذلك أن كلا الجانبين كان يعامل الآخر على قدم المساواة من أجل إقامة سلم دائم . وعلى ذلك فقد احتفظ كل من البلدين لنفسه بكرامته وذكر أنه وافق على طلب الآخر حتى يضعا حداً للنزاع المستمر بينهما ونهاية للحروب التى أحسا أنه لا طائل من ورائها .

وعلى ذلك فإن هذه المعاهدة يمكن اعتبارها وثيقة هامة من الوثائق القانونية الدولية المبكرة ونموذجاً صادقاً للعلاقات الثنائية فى المجتمع القديم .